عملية " الجرادة" أو عملية اغتيال زكريا المجدوب القائد العسكري للولاية الخامسة

ترجمة.أ. أحمد شقرون

جامعة الجزائر

Source : Trésor du Patrimoine, n°3, Juillet- Aout2002, Paris, pp(10-12)

في مزرعة مارش (March) الواقعة على بعد 7 كلم من فرندة على طريق مارتا مبرى (عين الحديد)، حيث تتمركز فرقة الكوماندوس البحري (Grouco)، سرب جوي لفرقة مروحيات الطيران البحري رقم 1 (GHAN-1) والقاعدة المتحركة رقم 2 (BM-2)، يسود نوع من الغليان ليلة 4-5 فيفري 1960...

أين وصلت عملية مسح الزوايا (relevés gonio) ؟ سؤال يطرحه النقيب البحري سارفان Servan، قائد فرقة (Grouco)، على ملازمة في الإشارة دوران (Durand).

- ليلة أمس، حضرات!، تم البث على موجةKW30-EG1، على غرار البارحة وبدقة 1 كلم، وفي ليلة 2 فيفري حُدِّد البث على موجة KW30-G50، أي بالمكان عينه تقريبا؛ لقد تواصل البث من موقع مستقر منذ ليلتين.

- لا مجال للتماطل، استطرد سارفان قائلا: لا بد من الشروع في عملية " الجرادة" وتوجيه برقيات إلى كل من: فليق وهران (CAO)، منطقة وهران الشرقية (2EO)، الفرقة الخامسة للمشاة (5CGCP)، فرقة السبايس الثالثة والعشرين (23e Spahis)، قطاع فرندة العسكري والقطاع الفرعي لـ Rhésalas.

في الخارج، يخيم دوي محركات الشاحنات على سكون

الليل وتتعالى أوامر من هنا وهناك. وحدة الـ Grouco تتحرك ... وفرق الكوماندوس Trepel, jaubert و Penfentenyo تتأهب. وفي الوقت الذي تنتقل فيه فرقة Jaubert على متن المروحيات رفقة مركز قيادة PC-Grouco، تنتقل الفرقتان الأخريان على متن الشاحنات إلى تيارت حيث ستقلهما طائرتان من نوع Nord-2501 إلى عين سخونة (Skhouna)، المنطقة التي ستجرى فيها عملية " الجرادة". يتوفر السرب الجوي GHAN-1، بالمناسبة، على "3HSS-1canon"، 10 " "HSS-1 cargo، "2H21-C" مروحيات " بنان" ، علاوة على دورية من " 2T6"، مروحية " ألوات 2" و " 2 Piper" للمراقبة

ولماذا تنشر كل هذه القوات؟

" سمكة كبيرة" يجب اصطيادها

منذ حوالي سنة وقوات الأمن تطارد شيب الطبيب المدعو زكريا المجدوب أحد الفارين من الخدمة الوطنية [الفرنسية] والذي سيصبح فيما بعد قائدا عسكريا للولاية الخامسة، أي ناحية وهران التي تمثل ربع مساحة القطر الجزائري❖

لقد سبق وأن فلت هذا الأخير ثانية في جويلية 1959، من قبضة وحدات قطاع سعيدة العسكري، التابعة للعقيد بيجار (Bigeard)، حيث نجح في الانسحاب من الاشتباك رفقة مركز القيادة وحراسه.

لقد قرر زكريا بمعية العقيد لطفي، قائد الولاية الخامسة بالمغرب، إعادة تمركز الثوار (la rébellion) في الناحية الوهرانية، لا سيما في مناطق سعيدة، تيارت والورشنيس إلا أن الأهالي لم يكونوا في الموعد نتيجة العمليات التي قام أخيرا تم تحديد موقع زكريا عقب إرسال لاسلكي وذلك بواسطة طائرات مسح الـزوايا (avions-gonio)، على بعد حوالي 100 كلم من مركز قيادة Grouco.

❖ لا شك أن هذه المساحة تتعلق بشمال الجزائر دون الصحراء (المترجم)

بها الجنرال شال(Chall). وزيادة على ذلك، فقد واجه منافسة بشأن الحدود الولائية مع قادة الولاية الرا

تعد المنطقة المستهدفة شبه صحراوية، وتقع بالقرب من الشط الشرقي، حيث تنتصب عدة خيم للبدو، وسط أمواج من الكثبان المتخفضة لا يتعدى علوها ثلاثة أمتار، تتخللها أعشاب من الحلفاء.

فهي أرض يصعب الوصول إليها في الليل أو النهار سواء على متن الشاحنات أو المروحيات وذلك بسبب العسس وطبيعة الأرض الرملية حيث يمتزج الغبار عند الهبوط الشيء الذي يجعل الجمع بين رجال الكوماندوس وإسناد المروحيات مستحيلا.

العمل:

انطلقت الشاحنات على الساعة الرابعة [صباحا]. وعلى الساعة السابعة وخمس دقائق جاء دور انطلاق السرب الجوى GHAN، مع فرقة Jaubert(9مجموعات وكل مجموعة تتكون من 8 عساكر)، مركز قيادة Grouco الذي يضم القيادة والإشارة، فريق الحماية وفريق الاستخبارات (مفرزة العمليات الأمنية " Dop" و فريق التراجمة).

منذ البداية بَدَا التحليق جد صعبا؛ فالارتفاع الأقصى لا

يتعدى 150 مترا. أخذ النقيب البحري Babot، قائد فرقة GHAN، يدمدم في جهاز الراديو: " ممر فرندة مسدود، نعود على أعقابنا مرورا بـ Martimprey بمحاداة الطريق، هيا بنا!

وبعد لحظات، عبّر Jules (رمز Bob) عن ارتياحه. لقد تيسرت الأمور ومن المحتمل أن يتحسن الجو خلال الصّباح. داخل المروحيات، جلس رجال الكوماندوس ازاء بعضهم البعض وهم يلتزمون الصمت أو يغمضون جفونهم. إن أزيز المحركات لا يشجع على تبادل الحديث، و في الخارج تكاد تكون الرؤية منعدمة.

على الساعة الثامنة [صباحا]، وصلت طائرات الشحن، التي خفضت من ارتفاعها، لتحط ويتدفق منها حشد من البشر. أربعون (40) عسكريا، بقيادة الملازم البحري Fabre يندفعون إلى خارج سحاب من الغبار.

وفجأة يعلن الراديو: انهارت إحدى الخيم ... هناك6 أو 7 أشخاص مسلحون يلوذون بالفرار.

" راقبهم"، قال Laure مقاطعا. لقد أجبرتهم بعض الطلقات النارية على الابتعاد .لا يجب قتلهم.

في هذه الأثناء، كانت فصيلة Fabre، الواقعة على بعد

3كلم من " الهدف"، تتقدم بصعوبة وهي تهرول في الرمال. كانت المجموعات الثلاث الأخيرة التابعة لـ Jaubert و مجموعة Laure التي انزلت من قبل، تسير صوب الخيم بتوجيه من إحدى المروحيات.

ومن أرض الميدان، بعين سخونة، سيتم نقل رجال الكوماندوس التابعين لـ Trepel و Penfentenya عن طريق الجو، وسترسل، إلى الجنوب الغربي، وحدة التدخل للمروحيات (UIH) رقم 1 والتي تضم فرقة " Jules"، مروحية مدفعية (GHAN) بالاضافة إلى إرسال، إلى الجنوب الغربي، 3 طائرات شحن تحمل 3 مجموعات (24 كوماندوس)، وبينما تقوم وحدة مشاكلة لهذه الأخيرة بتغطية الجنوب، وستتكفل الوحدة الثالثة (UIH) بتغطية الجنوب الشرقي.

يجب جمع كل فئة الذكور (population mâle) واقتيادهم، بواسطة مروحيات " بنان"، إلى فرق مفرزة العمليات الأمنية .

أما بالنسبة لوحدات القطاع الموضوعة تحت تصرف " Laure" فهي جاهزة لتأمين تطويق (bouclage) واسع بعرض 30 كلم وستقوم المروحيتان " T-6"، على غرار مرواحيات الـ " Piper" بالمراقبة عن قرب.

حصر الهدف:

بعد تموقع الجميع تنطلق عملية التمشيط. الملازم البحري " Scheidhaver"، قائد فرقة " Jaubert"، يخاطب رجاله: حافظوا على المسافة بينكم، فإن طلقة واحدة تكفي للقضاء على فريق بأكمله.

وفجأة صاح راديو المروحية: " اسرعوا، يوجد ثوّار أمامكم على بعد 3 كلم. انهم لن ينتظركم.

- اسرعوا، اسرعوا، صرخ أحد رجال الكوماندوس.... إن إطلاق رشقات نارية، من بعيد، أيقظت، لحسن الحظ، ردود الفعل الدفاعية للعساكر. لقد كشف عن بعض الثوار مختبيئن وراء كثبة من الرمال. لقد استعاد العساكر غير المحنكين سلوك العساكر المحترفين... وفي هذا الوقت بالذات ظهر شخص للعيان فأطلقوا عليه النار فتأرجح في الرمل... شخص ثان يخاطر بنفسه، لكن بعض الطلقات النارية تضع حدا لمحاولته، هذا " مكتوب اللّه" كما يقال. وقف شخص ثالث رافعا يداه وسلاحه في الهواء...

فتم تجريده من السلاح وإرساله إلى مفرزة العمليات الأمنية.

أما فيما يتعلق بفصيلة الملازم البحري Barret (Jaubert)فإن العريف البحري Nobilet قد كشف ثائرا يختبئ وراء كثيب من الرمال كما تم كشفه من قبل إحدى المروحيات. أطلق عليه العريف البحري Tremblay نار سلاحه الألي (AA-52) فأوقعه أرضا.

وبانتهازهما عملية تظليلية، قام كل من Barret و Nobilet بشن هجوم مباغث، من اليمين، فقام الثائر الذي شاهدهما بفتح النار عليهما برشاشة MP-40 الشيء الذي تطلب الحذر و الحيطة. واصل Nobilet تقدمه بينما لجأ Barret إلى استخدام كرابينته US-M1 وعلى بعد حوالي 30 مترا، شاهد Nobilet الثائر وهو يقبض على كرابنته الأمريكية ليرد على نيران Barret وفجأة شاهده Nobilet يَسْتَبدل مُلقْمَ (chargeur) الكرابينة وبدون انتظار رماه برشقة طويلة من النيران. تلقى الرجل الطلقات النارية وانهار على جنبه. إنه مازال يتنفس لكنه بعسر... وكان مُضرَّجًا بالدماء. مسك Barret إحدى يديه فلاحظ أنه تنقصها إحدى السُّلاَميات (phalange)، الشيء الذي أدى إلى التعرف على الجريح. إنه زكريا الذي سيلفظ أنفاسه بعد قليل. لقد كان خصما شجاعا، دافع دفاعا مستميتا حتى النهاية

وهو يعلم أنه لا مفرَّ من القضاء المحتوم.

اللهم إذا ... لا، أبدا، لقد كان يمسك بقنبلة يدوية في اليد الأخرى❖ وهكذا تنتهي عملية الجرادة [...].

❖ هكذا، وباعتراف العدو نفسه، يستشهد البطل زكريا شاهرا سلاحه ولم يستسلم رغم كل القوة العسكرية الهائلة التي حشدت ضدَّه (المترجم).